مشكلات ترجمات الكتب المقدسة..
ترجمة القرآن إلى اللغات العالمية

بعلي حفناوي
جامعة باجي مختار – عنابة – الجزائر
hafna_mahyou@yahoo.fr

الملخص:

إن القيام بعمل مثل ترجمة الكتاب المقدس يملي على صاحبه أو أصحابه، معرفة عميقة باللغات القديمة، التي كتبت فيها بعض الكتب، مثل العبرية والعربية والآرامية واليونانية، إلى العربية التي ينبغي أن تنقل الكتب إليها، واللاتينية التي كتب بعض أوائل آباء الكنيسة فيها ما لا غنى عنه في الترجمة والشرح. وهذا كله ينبغي التوفر على دراستها سنوات طويلة، والجمع بينها في علم عالم واحد، أو في علم علماء يجمع واحدهم العلم بهذه اللغات وبآدابها جميعا. كما أن الترجمة العربية، وربما دون سائر الترجمات الأخرى للكتاب المقدس، فكان أن تمتحن امتحانا عسيرا من حيث أن لغتها هي عينها لغة القرآن والإسلام. فإذا هي أسلست قيادها للعربية التي طبعها التنزيل بطابعه العميق، ظهرت الترجمة بمظهر الصدى الخافت لنص أصيل.

لهذه الأسباب وغيرها، كانت ترجمة الإنجيل الجديدة حدثا ثقافيا، يتعدى زيادة ترجمة على ترجمات سابقة، كما يتعدى دائرة من يتعرفون الإنجيل كتابهم المقدس، إلى كل من يهمهم إثراء العربية وفتح باب الحوار، من طريق مباشرتها عوامل جديدة من المعاني والصور والرسوم. والحق أن مقارنة الترجمات الثلاث، اليسوعية، الاتحادية (اتحاد جمعيات الكتاب المقدس)، والمارونية، معين من التأمل في طرق العبارة لا ينفد.

وهكذا تأخذ الترجمة الجديدة بطرق مختلفة، بغية الجمع بين بيان صاف وبين إيقاع تقبل عليه الأذن. لاريب أن النقل الحبري يأخذ من النقل اليسوعي خير ما جاء به. وتجدد الترجمة الجديدة في غير موضع من الأناجيل الأخرى، وفي أمور دقيقة. ينبغي زيادة ملاحظات على علامات الوقف، وعلى الحواشي اللغوية واللاهوتية الممتازة، وينبغي مديح الطباعة وجودة الورق، والتصاوير والرسوم البديعية.

ليس القرآن الكريم للعرب دون الناس، بل للناس كافة. فإذا لم تجر محاولة لترجمته إلى لغات أخرى، فسيظل القرآن كتابا مغلقا للأمم الأخرى، مفتوحا للعرب فقط. لذلك، فإنا أيقنا أن القرآن هدى للناس، وبابا مشرعا على حوار الأديان، فإن ترجمته شريطة أن تكون أقرب ما يكون النص العربي، ليس خروجا على النص الأصلي.

فلئن كان يتعين على قارئ القرآن أن يعرف اللغة العربية، فلا مندوحة أيضا من إبلاغ الرسالة القرآنية إلى غير الملمين بالعربية. من هنا جاءت ضرورة الترجمة. ولم تزل هذه الضرورة قائمة، فالذين يلمون بالعربية إلماما يؤهلهم لقراءة القرآن في نصه المنـــزل، لا يزيد عددهم عن خمسة في المائة من سكان العالم.

نحن إذن أمام خيارين، إما أن نتوقف كلية عن ترجمة القرآن، منتظرين أن يأتي اليوم الذي تعم فيه اللغة العربية العالم، وإما أن نبذل قصارى ما في طاقتنا لنقل الرسالة القرآنية إلى اللغات الأخرى. وبديهي أن الخيار الأول غير مقبول، وأن العمل في ترجمة القرآن، مهما كانت صعوبته ينبغي أن يكثف، حتى نروي الظمأ الروحي لجمهور غفير من سكان العالم، الذي يضم المسلمين

وغير المسلمين. وقد ترجمت التوراة والأناجيل إلى 1800 لغة، كي يقرأها المهتمون بالدين والأمور الروحية، وليس هناك ما يمنع من ترجمة القرآن إلى مثل هذا العدد من اللغات.

ترجمات التوراة والإنجيل:

ظهر فضل الترجمة ومقامها، فيما أبداه الغربيون من اهتمام بالغ وحرص شديد، على ترجمة الكتاب المقدس بقسميه: التوراة، والإنجيل إلى لغاتهم. ويمتاز العهد القديم من الكتاب المقدس بطول نصوص، وبتنوع أشكاله الأدبية، وبكثرة القصص التاريخي فيه، وبالتفاصيل الدقيقة للتشريع، وبالعقائد الخلقية لكتب النبوات، كما يمتاز بالشعر الغنائي في المزامير، وفي نشيد سليمان، وبأدب الحكمة في الأمثال، وبالحوار الدرامي في القصص القصير.

واللغة الأولى للتوراة هي العبرانية، ولكن ترجمة لها إلى اللغة اليونانية، كانت مستعملة في عهد المسيح عليه السلام، وهي أقدم ترجمات التوراة. وعن هذه الترجمة اليونانية كانت أول ترجمة إلى اللغة اللاتينية، التي قام بها القديس "جيروم" أبو الكنيسة الغربية، والمترجم الأول للتوراة (345–420 م)، وتعرف هذه الترجمة عند الأوروبيين باسم "فولجيت"، وقد اقتضت منه زمنا في نقلها إلى اللاتينية، يبلغ اثنين وعشرين عاما، وهي أطول زمنا عرفه التاريخ في ترجمة كتاب.

وتعد هذه الترجمة الأساس للكتب المقدسة الرسمية في الكنيسة الرومية الكاثوليكية. ومن التوراة قسم لا بأس به في الطول،كتب أول الأمر باللغة اليونانية، التي كانت لغته الأصلية، ويسمى هذا الأصل "أبو كريفا"، ويؤكد

العارفون بالإلهيات من المسيحيين أنه من الإضافات إلى التوراة، التي لم تكن في عهد موسى عليه السلام. ومن هنا كانت اليونانية لغته الأصلية. ومهما كان الأمر، فلقد ترجم هذا القسم إلى اللغة اللاتينية، فيما ترجمه سان جيروم في القرن الرابع الميلادي، ومن هذه الترجمة اللاتينية أخذت التوراة تترجم إلى أكثر اللغات الأوروبية، وخاصة اللغة الإنجليزية.[1]

أما ترجمة الإنجيل فتتمثل فيما جمعه حواريو المسيح من حديثه وآثاره وسننه وأفعاله، جمعوه بالآرامية، وسمعوه بالآرامية، لسان أهل تلك البقاع في ذلك العصر. إلا أن انتشار الدعوة في النصف الثاني من القرن الأول، تطاول إلى بلدان غلبت عليها لغة اليونان وثقافتهم، بعضها منذ فتوح الإسكندر المقدوني، في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد. ولما كانت اليونانية لغة الثقافة والأدب في عقر النخبة الرومانية، لذا توسل حواريو المسيح وتلامذته باليونانية، إلى مخاطبة أهل البلدان التي انتشروا في أرجائها وربوعها، وإلى دعوتهم. فحفظت كتبهم، أو أحاديثهم وآثارهم، في لغة الدعوة الجديدة، التي نقلوا إليها "البشارة" التي بشروا بها.

ذلك أن المشهور بين مؤرخي اللغويات، هو أن اللغة اليونانية انتشرت على الساحة العالمية، كوريثة حضارية للغة الآرامية، وترجمت تراث الشرق، ومن بينها ترجمة السبعين للتوراة، ولما غلبت روما على الشرق لم تستطع اللاتينية زحزحت اليونانية، على الأقل في الساحة الثقافية. ولم تمض ثلاثة قرون حتى انضوى الحكم الرومي تحت لواء هذه الثقافة في صورة الإمبراطورية الرومية الشرقية. بهذا كان للآرامية فضل كبير في ترجمة التوراة بالإسكندرية في عصر البطالمة، ثم في ترجمة معظم الأناجيل إلى اللغة اليونانية.

وقرينة ذلك، أن الأناجيل المعتمدة كتبت كلها باليونانية في ظل الحكم الروماني، فإنجيل متى قد كتب أولا بالآرامية لغة المسيح، وسرعان ما ترجم إلى اليونانية قبل سنة 60 للميلادية، يليه إنجيل مرقس باليونانية سنة 64، ثم إنجيل لوقا اليوناني عام 65 م، وأخيرا إنجيل يوحنا باليونانية أيضا حوالي سنة 80 م في مدينة أفسوس. ومؤلفو الأناجيل عدا لوقا لغتهم الأصلية هي الآرامية، ومع ذلك كتبوا باليونانية لغة العصر كما يقال.

ومنذ القرن الثامن الميلادي إلى أواخر القرن التاسع عشر، أخذت تتعدد ترجمة التوراة والإنجيل في اللغة الإنجليزية. وهي ترجمات تحمل من الفروق ما تحمله الترجمات المتعاورة على النص الواحد، وكانت المسماة "المتقدمة" تامة، ولكنها لم تكن أفضل من مما سبقها من ترجمات، فعلى الرغم من دقتها وضبطها اشتملت على عيوب الترجمات السابقة عليها، من الخفاء، والغموض، والإبهام، والخروج عن دائرة المعقول، وهي عيوب جر إليها شدة تعلق المترجمين بأهداب الأصل اللاتيني، ومحاولة التقيد به وعدم الخروج عنه.

وكانت عيوب ترجمات الكتاب المقدس بعهديه سببا في أن يدعو الملك "جيمس الأول" ملك إنجلترا في أوائل القرن السابع عشر، إلى عمل ترجمة رسمية تبتعد عن المجهود الفردي، الذي كان يقوم به تراجمة من الأفراد من رجال الدين القادرين على الترجمة. واختير للترجمة من علماء الجامعتين القديمتين خمسون عالما، روعي في اختيارهم اعتبارات كثيرة، أهمها إتقان اللغتين اللاتينية والإنجليزية، والفهم الديني الواسع، والمعرفة الشاملة بتاريخ الأديان، وخاصة تاريخ الدين المسيحي. ومن هنا اقتضت عملية اختيار هؤلاء العلماء مدة خمسة أشهر، وقسموا إلى جماعات وفرق، تتولى كل واحدة منها عملا

خاصا بها. ووضعت لهم خطة يتبعونها في الترجمة ويسيرون عليها، حتى يكون العمل متسقا منسجما، وحتى تبلغ ترجمة الكتاب المقدس الغاية، التي يتمناها الملك جيمس الأول، والتي تزيح الغموض عن كثير من العبارات، التي تزدحم بها الترجمات السابقة.

وكان من الطبيعي أن يتطلب هذا العمل من الجهد والوقت. وإذا كان أصحاب الترجمة السبعينية للكتاب المقدس، قد أتموا ترجمتها في اثنين وسبعين يوما – مما أوحى بهذه التسمية – فإن أصحاب هذه الترجمة الرسمية في عهد الملك جيمس الأول، قد فرغوا منها في ثلاث سنوات – أو ما يزيد على الألف يوم – ومن هنا جاءت تسميتها المعروفة في كتب التاريخ والأدب بالترجمة الألفية. ومع هذا الحرص البالغ والتنظيم الدقيق، لهذه الترجمة الرسمية في القرن السابع عشر، شعر الإنجليز بأن الحاجة تدعو إلى ترجمة جديدة للكتاب المقدس. ومن هنا كانت ترجمة سنة 1881، التي تسمى بالترجمة المنقحة. وهذه الترجمة للكنيسة الإنجليزية البروتستانتية، التي تمت نهائيا في سنة 1952.

ولا تزال الترجمة الرسمية – أو ترجمة الملك جيمس الأول – تعد عملا من الأعمال المجيدة العظيمة في الأدب الإنجليزي. وكانت ولا تزال نموذجا عاليا للنثر الفني الرفيع في تلك اللغة، كما تعد آية في البيان. وإذا كانت اعتمدت في النقل على اللغتين العبرية واليونانية، فإنها كانت قد أفادت كثيرا من الترجمة اللاتينية القديمة، ومن الترجمات الإنجليزية السابقة، وخاصة ترجمة "وليم تندال"، الذي يعد هو و "ويكليف" من أكثر المترجمين للتوراة ذوقا، وحسا بالجمال الفني في التعبير، وإثراء للأدب الإنجليزي.

ويظهر الفرق واضحا بين ترجمة الكتاب المقدس الرسمية سنة 1611، وترجمته المنقحة سنة 1881، فإن الترجمة الثانية تمتاز بالأمانة في النقل، لأن أصحابها تحروا جهد طاقتهم، أن تكون الترجمة أمينة قدر المستطاع، بعيدة عن أي تصرف قد يبعد بها عن المعنى المراد. ومع هذه الدقة التامة، التي روعيت في الترجمات الرسمية والمنقحة، ومع هذا التحري في اختيار التراجمة العلماء القادرين المتمكنين، فلم تسلم التوراة والإنجيل في ترجمتها الإنجليزية من مآخذ النقد عليهما من النقاد الصرحاء في إبداء الآراء، من مثل الأديب والمفكر المعاصر "جلبرت هايت".(2)

أما ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية، لن نقف طويلا مع الأسقف "ثيودور أبي قرة"، الذي اشتغل بالترجمة في العصر العباسي على عهد هارون الرشيد، حيث وضع أول محاولة لترجمة الأناجيل إلى اللغة العربية، في صورة ميامر (أقوال).

فالواقع أن المرسلين والمبشرين الأمريكيين، لما بدأوا يعربون التوراة، أو يترجمونها إلى العربية، بمعاونة بعض العلماء السوريين، تحروا أن يحافظوا على الأصل العبري في العهد القديم، وعلى الأصل اليوناني في العهد الجديد، مع التزام الأمانة في النقل، كما فعل أصحاب الترجمة الإنجليزية المنقحة سنة 1881. وهكذا جاءت الترجمة العربية أقرب إلى الأصل، وأكثر مطابقة له، والعلة كما تبدو فيما بين العربية والعبرية من صلات فيلولوجية، وما بينها من تشابه صور التعبير، ووجوه الكلام، وطرق البيان. وما بينهما من تقارب أصول الألفاظ والتراكيب، ومشابهة المجازات والاستعارات والتراكيب. وهذا كله مما يجعل عملية النقل والترجمة أدنى إلى الدقة وأقرب إلى الأصل.

على أن الترجمة العربية للكتاب المقدس، التي قام بها اليسوعيون في العقد الثامن من القرن التاسع عشر، قد قصدوا منها أن تكون ترجمة تجمع بين الصحة من ناحية، وبين البلاغة والإشراق من ناحية أخرى، فلجأوا إلى الأديب العربي البليغ "الشيخ إبراهيم اليازجي"، وألقوا عليه عبء تنقيح هذه الترجمة وتهذيبها، وإجراء قلمه عليها، ووجدوه أكثر نصارى العرب المحدثين، وأجدرهم للقيام بهذا العمل، الذي صرف فيه تسع سنوات من عمره. وقد أراد اليازجي أن يكمل نفسه بتحصيل مبادئ العبرية والسريانية – وخاصة الأولى التي هي لغة التوراة الأصلية – فبذل الجهد في تعلمها. وقد جاءت ترجمته عملا أدبيا جليلا، أضفى على هذه الترجمة اليسوعية حلة من البيان والجمال، لم تحظ بها الترجمة التي قام بها المرسلون من الأمريكان.

صدرت في العقود الأخيرة ترجمة جديدة للأناجيل وللأعمال الرسل، قامت بها كلية اللاهوت الحبرية في جامعة الروح القدس، الكسليك بلبنان. وعهدت الكلية بالترجمة والشرح إلى أربعة كهنة هم: بطرس قزي، ويوحنا قمير، ويوحنا الخوند، وأسعد جوهر. وأوكل إلى ثلاثة هم: يوحنا ثابت، وجوزيف قزي، وجوزيف عبيد، عملي التدقيق والمراجعة. وبعض هؤلاء سبق له أن عمل ترجمات كبيرة.

إن أساس هذه الترجمات هو اضطلاع هيئة لاهوتية مارونية بنقل الأناجيل إلى العربية، من بعد أن أصدرت هيئتان نصين عربيين جديدين في غضون السنوات الأخيرة، فشاركت جمعيات الكتاب المقدس، على اختلاف مشاربها، من كاثوليكية وغير كاثوليكية، في إبراز الأناجيل وأعمال الرسل ورسائل بولس في حلة عربية في عام 1980، بينما كانت لجنة من مترجمين

فيهم يوسف الخال، تنكب على صوغ الكتاب المقدس المسيحي صياغة جديدة.

ولما كان في وسع قراء العبرية قراءة الكتاب هذا في ترجمة كاثوليكية، يسوعية، ترقى إلى سنة 1877، إلى قرن كامل من الزمن، وحظيت بإسهام إبراهيم اليازجي، كما في وسعهم قراءته في ترجمة بروتستانتية جندت المعلم بطرس البستاني، لم يبق من مساغ لترجمة جديدة، إلا رغبة الهيئة المارونية في الإسهام بسهمها الخاص، وفي الوفاء بدينها إلى عمل تستمده أركانها.[3]

إن القيام بعمل مثل ترجمة الكتاب المقدس يملي على صاحبه أو أصحابه، معرفة عميقة باللغات القديمة، التي كتبت فيها بعض الكتب، مثل العبرية والعربية والآرامية واليونانية، إلى العربية التي ينبغي أن تنقل الكتب إليها، واللاتينية التي كتب بعض أوائل آباء الكنيسة فيها ما لا غنى عنه في الترجمة والشرح. وهذا كله ينبغي التوفر على دراستها سنوات طويلة، والجمع بينها في علم عالم واحد، أو في علم علماء يجمع واحدهم العلم بهذه اللغات وبآدابها جميعا. كما أن الترجمة العربية، وربما دون سائر الترجمات الأخرى للكتاب المقدس، فكان أن تمتحن امتحانا عسيرا من حيث أن لغتها هي عينها لغة القرآن والإسلام. فإذا هي أسلست قيادها للعربية التي طبعها التنزيل بطابعه العميق، ظهرت الترجمة بمظهر الصدى الخافت لنص أصيل.

لهذه الأسباب وغيرها، كانت ترجمة الإنجيل الجديدة حدثا ثقافيا، يتعدى زيادة ترجمة على ترجمات سابقة، كما يتعدى دائرة من يتعرفون الإنجيل كتابهم المقدس، إلى كل من يهمهم إثراء العربية، من طريق مباشرتها عوامل جديدة من المعاني والصور والرسوم. والحق أن مقارنة الترجمات الثلاث،

اليسوعية 1877، الاتحادية (اتحاد جمعيات الكتاب المقدس) 1980، والمارونية 1987، معين من التأمل في طرق العبارة لا ينفد.[4]

وهكذا تأخذ الترجمة الجديدة بطرق مختلفة، بغية الجمع بين بيان صاف وبين إيقاع تقبل عليه الأذن. لاريب أن النقل الحبري يأخذ من النقل اليسوعي خير ما جاء به. وتجدد الترجمة الجديدة في غير موضع من الأناجيل الأخرى، وفي أمور دقيقة. ينبغي زيادة ملاحظات على علامات الوقف، وعلى الحواشي اللغوية واللاهوتية الممتازة، وينبغي مديح الطباعة وجودة الورق، والتصاوير والرسوم البديعية.

إشكالية ترجمة القرآن إلى اللغات العالمية:

ليس القرآن الكريم للعرب دون الناس، بل للناس كافة. فإذا لم تجر محاولة لترجمته إلى لغات أخرى، فسيظل القرآن كتابا مغلقا للأمم الأخرى، مفتوحا للعرب فقط. لذلك، فإنا أيقنا أن القرآن هدى للناس، فإن ترجمته شريطة أن تكون أقرب ما يكون النص العربي، ليس خروجا على النص الأصلي. فلئن كان يتعين على قارئ القرآن أن يعرف اللغة العربية، فلا مندوحة أيضا من إبلاغ الرسالة القرآنية إلى غير الملمين بالعربية. من هنا جاءت ضرورة الترجمة. ولم تزل هذه الضرورة قائمة، فالذين يلمون بالعربية إلماما يؤهلهم لقراءة القرآن في نصه المنزل، لا يزيد عددهم عن خمسة في المائة من سكان العالم.

نحن إذن أمام خيارين، إما أن نتوقف كلية عن ترجمة القرآن، منتظرين أن يأتي اليوم الذي تعم فيه اللغة العربية العالم، وإما أن نبذل قصارى

ما في طاقتنا لنقل الرسالة القرآنية إلى اللغات الأخرى. وبديهي أن الخيار الأول غير مقبول، وأن العمل في ترجمة القرآن، مهما كانت صعوبته ينبغي أن يكثف، حتى نروي الظمأ الروحي لجمهور غفير من سكان العالم، الذي يضم المسلمين وغير المسلمين. وقد ترجمت التوراة والأناجيل إلى 1800 لغة، كي يقرأها المهتمون بالدين والأمور الروحية، وليس هناك ما يمنع من ترجمة القرآن إلى مثل هذا العدد من اللغات.

في خلال الأربعة عشر قرنا الماضية، ترجم القرآن آلاف من الأدباء والهيئات الإسلامية في مختلف البلاد، ولكن لا يوجد حتى الآن اتفاق كامل على ترجمة مرضية، لذلك يسعى المسلمون جاهدين من أجل الوصول إلى ترجمة وافية كاملة ترضي الجميع. وبما أن مصدر المعرفة الكبرى لعقيدة الإسلام، هو القرآن فقد حاول المستشرقون الخوض في ترجمة معانيه، وأسست المعاهد الكثيرة ومنها معهد ميونيخ الذي أسس في ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية، وكان معهدا خاصا بالأبحاث القرآنية، فجمعوا آلاف النسخ المخطوطة والمصورة والمطبوعة، وقارنوا بينها، فوصلوا إلى قناعة بعد مقارنة بينها، إلى أن الفوارق كانت بنوعية الخطوط من بلد وآخر.

إن أكثر الترجمات من صنع المستشرقين، الذين لا يدينون بالإسلام، وأما التراجم القليلة التي قام بها المسلمون، فعيب على بعضها لغتها الفرنسية الضعيفة. ويوجد إحصاء دقيق لعدد الترجمات، فقد تم ترجمة القرآن كاملا إلى 79 لغة، وترجمة ناقصة إلى 49، ولا توجد أي لغة في العالم إلا قام العلماء بترجمة القرآن إليها كاملا أو ناقصا.

ولا شك أن الاستشراق الألماني كان له السبق في المجال العلمي، لأسباب كثيرة منها تفوقهم العلمي السابق. والاستشراق الفرنسي كان أكثر دقة ونوعية، ويتبعه الاستشراق الإنجليزي المكثف، ويلي جميع ما كتب عن الترجمة والدراسات القرآنية الاستشراق الأمريكي المتمثل في "أرثر جفري".[5]

وكثيرة هي نماذج الإخلال بالمعنى في ترجمات القرآن، وتتعلق بالتراكيب والمعجم والدلالة والصوت، إضافة إلى مثبطات كثيرة تحتاج في مجملها إلى دراسات تفصيلية جزئية دقيقة. فميدان نقد الترجمة بصفة عامة، وميدان نقد ترجمات معاني القرآن بصفة خاصة، ما زال مجالا بكرا للباحثين العرب والمسلمين وغيرهم من ذوي النيات الحسنة في ميدان الأدب المقارن. لكننا ما زلنا بكل أسف نفتقر إلى دراسات أكاديمية، تتصدى لنقد تلك الترجمات والنقول الكلية أو الجزئية للقرآن، بل مازلنا نفتقر إلى رصد بيبلوغرافي تحليلي شامل، لتلك الترجمات التي مازالت تتمتع بمشروعية التأثير والتأثر.

ولا نريد أن تفوت علينا هنا فرصة الإشارة إلى مسألة ذات بال في ثقافتنا العربية الإسلامية، وهي أننا تركنا الباب مشرعا في وجه المستشرقين، الذين يتجشمون إلى يومنا هذا مشقة ترجمة القرآن، دون أن نقوم بالدور الحضاري المنوط بنا. ويكفي أن نشير بهذا الصدد إلى أن فرنسا وحدها شهدت في الموسم الأدبي لسنة 1991 ميلاد ثلاث ترجمات: ترجمة رينيه خوام، وأندريه شوراكي، وآخرها ترجمة شيخ الاستشراق جاك بيرك.

لا يستطيع أي مفسر أو مترجم، حتى ولو كان لغويا ضليعا، أن يفهم القرآن وحده، لأنه يحيط بالشيء الكثير من اللغة العربية، ولا يوجد مترجم يستطيع أن يلم بمعنى القرآن، دون أن تتوافر له المؤهلات التالية:

- إتقان اللغة العربية، لغة القرآن الكريم.
- يكون حجة في الأحاديث النبوية.
- كون مؤرخا له باع طويل في معرفة تاريخ البشرية، والقصص الواردة في التوراة والإنجيل والقرآن.

ومن الضروري أن يكون على معرفة وفهم بالديانات الأخرى، التي سبقت اليهودية والمسيحية والإسلام، خاصة البوذية والزرادشتية، وذلك لوجود عوامل عديدة مشتركة في هذه الديانات. وبدون توفر جميع هذه المؤهلات، لا يستطيع أي مترجم أن يترجم القرآن على نحو يرضي الجميع. ولهذا السبب، لا بد من أن تتعاون مجموعة من العلماء، كل منهم في تخصصات مختلفة، بنفس الطريقة التي يتعاونون فيها في نشر الموسوعات في الوقت الحاضر.

ولقد كانت هذه المشقة البالغة في ترجمة القرآن، هي السبب الذي دعا بعض مترجميه إلى العزوف عن استخدام كلمة "الترجمة"، واستخدام كلمات أخرى مثل: ترجمة معاني القرآن، ونقل المعاني القرآن. هناك مؤلفون معاصرون، يمنعون استعمال كلمة ترجمة للقرآن، ولا ندري لماذا ؟ لأن السلف من مشارق الأرض ومغاربها استعملوا هذا المصطلح، بدون نكير منذ أقدم العصور الإسلامية، والترجمة معناها نقل معاني كلام من لغة إلى أخرى، والذي يقترح مصطلح "ترجمة معاني" تكرار بدون حاجة. إن اختلاف اللسانيين يبلغ إلى حد أن المخاطب لا يفهم شيئا من كلام المتكلم مع حاجته إلى فهمه، الحقيقة أن الترجمة لا تكون دائما مطابقة مائة في المائة، حتى ولو ترجم المؤلف قوله من لغة إلى أخرى، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ونعمل ما هو متيسر لنا.

أثارت قضية ترجمة القرآن إلى اللغات العالمية الكثير من الجدل، فظهرت الفتاوي والدراسات، التي تحرم أو تجيز ترجمة القرآن. فأما الذين أجازوها ورأوا أنها ضرورة ملحة، لما تقدمه من معارف قرآنية لمن لا يعرف العربية في ألفاظها ومعانيها، ولا يعرف القرآن في أساليبه وبلاغته. كما، أن انتشار الإسلام هو انتشار لدائرة القرآن، ولكي يفهم هؤلاء المسلمون الجدد من غير العرب هذا القرآن، صار لزاما على العلماء والمفكرين واللغويين أن يترجموه إلى لغات العالم أجمع. فالقرآن الكريم ترجم في عهد الرسول (ص)، وعلماء الإسلام ترجموا القرآن إلى اللغات الأعجمية بدون حرج.

أما من ذهب إلى منع ترجمة القرآن اللفظية والمعنوية على السواء، فقد استندوا في تبرير موقفهم إلى وقوع أغلاط فاحشة في الترجمات، ووجود هذه الأغلاط كان معولا هداما لبناء مجد الإسلام، ومحاولة سيئة لزلزلة الوحدة الدينية واللغوية والاجتماعية للأمة الإسلامية. كما أن ترجمة القرآن بمعنى نقله من اللغة العربية إلى لغة أخرى لفظا ومعنى – في رأي هؤلاء القائلين بالمنع – تستلزم المحال، وكل ما يستلزم المحال محال.

أما الذين أجازوا ترجمة القرآن، فنشير إلى دراسة لفريد وجدي، نادى فيها بضرورة ترجمة القرآن ترجمة صحيحة ودقيقة وكاملة لمجابهة المحرفين، وفي مصر انتصر الأزهر لفكرة جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، وتصدى لها ثلاثة من علماء الأزهر، وهم: الشيخ محمد خضر حسين، محرر مجلة نور الإسلام أو مجلة الأزهر. والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد مصطفى المراغي. وكل منهم أصبح شيخا للأزهر فيما بعد، فهؤلاء الثلاثة كتبوا حول ترجمة القرآن، واستند ثلاثتهم إلى كلام الشاطبي في جواز ترجمة

القرآن. كما استند الشيخ المراغي إلى كلام الأحناف في جواز ترجمة القرآن، وكتب مقالة عن أحكام ترجمة القرآن على مذهب فقهاء الحنفية، نشرت في مجلة الأزهر، ثم أعيد نشرها بمناسبة شروع مشيخة الأزهر، بالاشتراك مع وزارة المعارف، في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية.

وكان للشيخ المراغي فضل في إرشاد مترجم مشهور، وكان هذا المترجم إنجليزيا وابن قس إنجليزي، أسلم بعد درس وفكر وإقامة طويلة بين المسلمين في بلادهم، واسمه بعد إسلامه محمد مرمديوك بكثال. جاء مصر ومعه أصول ترجمته، فاستفاد من الشيخ المراغي وغيره من العلماء، ولكن محمد أحمد الغمراوي هو الذي راجع الترجمة كلها وصححها مع صاحبها، ثم نشرت في لندن سنة 1930، تحت عنوان "معاني القرآن المجيد". أما الشيخ محمد رشيد رضا، الذي ألف تفسيرا جديدا للقرآن الكريم، كان أحد المحدثين الذين يؤكدون استحالة ترجمة القرآن ترجمة حرفية، ولكنه يقول بجواز، بل وجوب ترجمة معاني القرآن لأهل كل أمة بلغتهم ترجمة تفسيرية.[6]

كما أثيرت قضية ترجمة القرآن بالمغرب الأقصى (مراكش)، وتصدى لها الحجوي، الذي يمثل الموقف الرسمي في السنوات الثلاثين من القرن العشرين، باعتباره وزيرا للمعارف آنذاك، وهو موقف متميز بانفتاحه وعمقه. يبدأ أولا بدحض رأي القائلين بتحريم ترجمة القرآن وإلزام الناس تلقن اللسان العربي. وفي رأيه ترجمة القرآن ممكنة شرعا، غير أن حصيلة هذا الفعل الترجمي ونتاجه لا تسمى قرآنا، وقد اشترط لذلك شروطا علمية دقيقة. ولبلوغ الهدف الأسمى اقترح الحجوي على أمم الإسلام، تشكيل لجنة من فطاحل العلماء والمترجمين لنقل القرآن إلى سائر اللغات، ونقد الترجمات الموجودة منه لإصلاحها

وفحصها، كما اقترح أن تكون هذه اللجنة أحد فروع جمعية الدعوة الإسلامية.

ويبدو أن رأي الحجوي لا يختلف في شيء عما تذهب إليه نظريات الترجمة في الوقت الراهن. إن علم الترجمة لا يقبل الترجمة الحرفية، لكنه يقبل الترجمة بالمعنى. وإيمانا من المؤلف بأن الترجمة تصب في جوهر الإشكال الهرمينوطيقي، لم يعمد إلى الفصل بينها وبين التفسير، إذ كلاهما عملية تأويلية للنص المترجم. وكل ما يفعله المفسرون في تفاسيرهم كابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، وابن جبير إلا ترجمة للقرآن في المعنى، ولذلك سمي ابن عباس "ترجمان القرآن".(7)

ترجمات القرآن إلى اللغات العالمية:

ويندهش الباحث عندما يرى أن النبي (ص)، وسع نشاطه التبليغي على ثلاث قارات: هرقل، وهو في بيزنطة، أي أوروبا، وإلى كسرى، وهو في المدائن، أي في آسيا، وإلى المقوقس وهو في الإسكندرية، والنجاشي وهو في أكسوم من بلاد الحبشة، أي كل ذلك نحو إفريقيا. ومعلوم أن آيات القرآن الكريم أرسلها إلى ملوك يدينون بالنصرانية أو المجوسية. ومن البديهي أن المرسل إليهم كان لديهم مترجمون رسميون، ترجموا محتوى الرسالات النبوية بلغة ملوكهم، وفي هذه الترجمة للرسالة أيضا ترجمة بعض آيات القرآن الكريم على أيدي غير المسلمين، فإذا من السنة النبوية إرسال أجزاء من القرآن إلى غير المسلمين، بل أعداء الإسلام مع العلم أن تلك الآيات ستترجم إلى لغات أخرى.

وهذا يعني أن الآيات المذكور في رسائل النبي عليه السلام إلى بعض الملوك، قد ترجمت إلى اليونانية، والفارسية، والقبطية، والحبشية، في السنة السادسة أو السابعة من الهجرة. وذكر الكثير من المؤرخين أن القرآن ترجم إلى السريانية، زمن ولاية الحجاج بن يوسف في خلافة عبد الملك الأموي، ويوجد في مكتبة جامعة مانجستر بإنجلترا مخطوطة سريانية، نشرها مترجم القرآن إلى الإنجليزية "متكانا"، وفيها تراجم ملتقطات القرآن، مثل سورة الفاتحة وآيات أخرى بنصها العربي منقولة إلى الخط السرياني ومترجمة إلى تلك اللغة.

ويذكر أن الفيلسوف اليوناني "نقيطاس"، من القرن التاسع الميلادي، نقل القرآن إلى اليونانية، فقسم منه ترجمة وقسم آخر خلاصة. ومهما يكن من أمر، فقد كان لكل من اللاهوتي نقيطاس والراهب برتليموس الرهاوي، اطلاع على القرآن غدا عميقا فيما نظن.

وتذكر كتب الفقه الحنفي أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي، أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكانوا يقرأون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية. ومما يذكر أن أول ترجمة للقرآن الكريم، هي الترجمة الفارسية التي نقلت عن تفسير الطبري، على أيام الحاكم الساماني المنصور بن نوح. وروى أبو بكر الترخشي أن أهل بخارى، كانوا يقرأون القرآن بالفارسية في صلاتهم في المسجد، نظرا لأنهم كانوا لا يعرفون العربية في صدر الإسلام. وتذكر المصادر أن أبا حنيفة قد أجاز قراءة ترجمة القرآن أثناء الصلاة، ثم رجع عن رأيه فيما بعد.[8]

وعلى سبيل المثال في الترجمات الفارسية والتركية القديمة. هناك نسخة قديمة من القرآن في مكتبة جامعة (أليجارث)، وعليها شروح بالفارسية،

كتبت تحت النص العربي في عصر المغول. وتوجد في سوق الكتب في استانبول عدة طبعات معروضة للبيع. كتب الأصل العربي في بعضها بحروف اللغة التركية الحديثة مع نص باللغة التركية إلى جانبه. وهناك ترجمات مختلفة ابتداء من السواحلية إلى الروسية والصينية، مرورا باللغات الأوروبية، وذلك لتوصيل معاني القرآن الكريم إلى المؤمن وغيره على حد سواء. أما الترجمة الكاملة، فكانت بالفارسية والتركية والهندية. هذا وأن أقدم ترجمة للمصحف الشريف باللسان الأردو، كانت من وضع شاه عبد القادر بن المصلح، والفقيه الهندي ولي الله شاه، ويرجع تاريخ طبعتها إلى 1790. بمدينة دلهي وقد تلتها طبعات أخرى منها ما كان مقرونا بالنص الأصلي العربي.

وفضلا عن ذلك قد نقلت معاني القرآن إلى ألسن شرقية كثيرة أخرى، منها الباتشو والبنجابي والسندي والملاي والجاوي. وغني عن البيان أن الشعوب الإسلامية سعت إلى ترجمة معاني القرآن إلى لغاتها القومية، ولهذا السبب نجد أعدادا هائلة من التراجم. وجاء في دائرة المعارف اليهودية، أن المكتبة البودلية بجامعة أوكسفورد، تقتني ترجمة عبرنية لمعاني القرآن، وتفيد مصادر أخرى أن الحاخام يعقوب بن إسرائيل، وضع في سنة 1634، ترجمة أخرى باللسان ذاته.

وبانتشار فن الطباعة وتقدمه طبع القرآن مرارا وتكرارا، وطبع تفسيره بالعربية إما على حدة أو على هوامش صفحاته. ومن أقدم تراجمه المطبوعه، ما صدر عن المطبعة الأميرية في استانبول سنة 1826، وصاحب هذه الترجمة التركية، هو إسماعيل فروخ أفندي، وقد سماها تفسيرا، وهي في الحقيقة ترجمة عن الفارسية لصاحبها حسن الكاشفي. وطبعت ترجمة فروخ بعد ذلك.

ثم طبعت بعد ذلك تراجم بلغات إسلامية وكلها سميت تفسيرا. ولكن ظهور التراجم بغير الفارسية والتركية من اللغات الإسلامية، كان تدريجيا ماشى انتشار الإسلام في الشرق الأقصى، وفي إفريقيا جنوبي الصحراء الكبرى. ومن التراجم المستعملة في بلاد إفريقيا الغربية، ما هو باللغة "الفلانية" ومكتوب بالحروف العربية، وما هو بلغة "الهوسا" ومكتوب بحروف لاتينية بجانب الأصل العربي، وما هو بلغة "اليوروبا" ومكتوب بحروف لاتينية. ومن التراجم في بلاد إفريقيا الشرقية، ما هو مكتوب باللغة السواحلية، وبالأمهرية، واليوغندية.[9]

هذا وقبل أن تشهد الألسن الغربية تطورها الحديث، كانت اللاتينية هي لغة الدين والعلم الفلسفة في أوروبا. وإننا لنرجح أنه تحت تأثير روما والبابا، كانت أول ترجمة أوروبية منسوبة إلى رهبان الأندلس، هي الترجمة اللاتينية، فقد راودت بطرس المبجل على إثر رحلة قام بها إلى إسبانيا، حيث عهد هذا الأب – رئيس دير أكلوني – إلى القس الإنجليزي روبيرت كينيت دوريتين المستفيد من معرفة جمعية رهبان سيتو، وهرمانوس دالماتا، بمهمة الترجمة سنة 1143 للميلاد، وضعت باللغة اللاتينية. كانت المبادرة قد انبثقت عن ذهنية الحروب الصليبية، هذا ما تثبته الرسالة التي وجهها بطرس المحترم إلى القديس برنار، مرفقة بنسخة من الترجمة التي كانت قد أعدت. وبقيت الترجمة مخطوطة ومحفوظة في الدير زهاء أربعة قرون، إلى أن قام الناشر السويسري بيبلياندر بطبعها في مدينة بازل سنة 1543.

ولا تبدو هذه الترجمة الطليطلية للقرآن بوجه من الوجوه، أنها كانت ترجمة أمينة وكاملة النص، وهذا ما نستخلصه من بعض البيانات الصادرة عن النشرات، التي أعادت نشر عمل روبيرت، ففي عام 1543 مثلا، كانت نسخة

"مختصر القرآن" الموجودة في القسطنطينية في مكتبة الدومينيكيين، توضح جيدا، أي نموذج من المصنفات كان في استخدام المبعوثين المسيحيين خلال عدة قرون من الزمن. وقد قيض الله لهذه الترجمة أن تظل لحقبة من الزمن، هي المرجع الوحيد لترجمات لاتينية لاحقة، كانت على رأسها تلك التي أنجزها توماس هينكلمان سنة 1694 في مدينة هامبورغ.

كان ميل رواد النـــزعة الإنسانية لدراسة اللغات الشرقية، قد دفع بدوره باغانيني إلى إعداد نشرة كاملة عن المصحف في البندقية سنة 1530. وربما كان لكتاب "قرآن محمد"، الذي نشره اريفابين سنة 1547، أن يخطو خطوات جديدة إلى الأمام، لأنه يتضمن دراسة عن محمد والإسلام، مصحوبة بمختارات من القرآن، يدعي المؤلف أنها من الأصل ذاته.

على أن البعض من رواد الاستشراق كانوا من الدبلوماسيين، الذين استفادوا من إقامتهم في الشرق الأدنى، ليعمقوا معرفتهم بالعربية والتركية، وبما تحمله هاتان اللغتان من الثقافة كذلك. وكانت مساعدة ريشيلو وكولبرت النيرة لهؤلاء الرواد، تذكي جهودهم أو تضاعفها. في هذا الجو بالذات، كان أندريه دوريه قنصل فرنسا في القاهرة سنة 1630، قد برع بالدراسات التركية وبترجمة القرآن، وهي أول ترجمة كاملة للنص العربي، وقد نشرت بالفرنسية سنة 1647، وفازت هذه الترجمة بشهرة دائمة، رغم كل ما فيها من الشوائب. هذا ما تظهره الطبعات الجديدة، والترجمات إلى الإنجليزية والهولندية والألمانية. التي كانت هذه الترجمة مادة لها طيلة أكثر من قرن.

وقد حكمت بجرأة بفضل الموهبة التي تذكي مؤلفها، على كل ما كانت تمكن قراءته في أواسط القرن السابع عشر عن القرآن، فلم يقصد بها أن

تكون سلاحا في الحروب الكلامية في وجه الإسلام، ولكنها ظهرت بمثابة كتاب يقصد به الإعلام الصادق للقراء الأوروبيين.

ثم تلتها ترجمة أخرى لاتينية طبعت عام 1668. ومن الترجمات اللاتينية المشهورة الأخرى، ترجمة العلامة الأب لودوفيكو ماراتشي، الذي كان يجيد لغة الضاد، فاستعان استعانة مباشرة بالمراجع العربية الأصيلة، حين هم بدرس القرآن المجيد، وما يتعلق به من العلوم مستغرقا نحو أربعين حولا من عمره، قبل أن ينجز هذا العمل الذي جرى طبعه في مدينة بادو الإيطالية سنة 1698، والذي كان مقرونا بالنص العربي. ثم تلتها ترجمات عديدة منها على سبيل المثال ترجمة أندريه دي روبير.

وفي سنة 1734 ظهرت في لندن الترجمة القيمة لجورج سال، مرفقة بمقال افتتاحي يكون أول بيان تاريخي موضوعي حقا، عن البيئة التي نمت فيها دعوة محمد (ص) في القرن السابع. إن نجاح هذا المؤلف كان سريعا، وتلك الترجمة التي كان لها تأثير كبير على كل من نهض للترجمة في هذا المضمار، ولمدة تربو على مائة عاما، ففي بضع سنين توالت منها الطبعات الجديدة، وبرزت لها ترجمات إلى الفرنسية والألمانية، ووجد عصر الأنوار، أي القرن الثامن عشر غذاؤه في هذا البيان، وفي هذه الترجمة لكتاب ديني حملت عليه المسيحية من قرن إلى قرن.[10]

وبعد ماراتشي أنجز العالم الألماني غوستاف أفلوغل ترجمة لاتينية أخرى، مستندا في ذلك إلى نقل هينكلمان، وقد تم نشرها في مدينة لايبزيك الألمانية سنة 1834 للميلاد. وأهم الترجمات الألمانية الموالية: ترجمة اشفائغر سنة 1616، وترجمة بوئزن التي كانت أول نقل مباشر عن العربية سنة 1773،

وترجمة أولمان سنة 1840، وترجمة روكارت سنة 1888، وترجمة هانينغ سنة 1901.

أما الترجمات الفرنسية، فكانت ترجمة دورييه التي ظهرت في باريس سنة 1647، واضعها كان قنصلا عاما لفرنسا بأرض الكنانة مصر، وكان أديبا مجيدا للغتين العربية والتركية. وترجمة سافاري بباريس سنة 1783. وترجمة كازيمرسكي سنة 1832، وكان منجزها مشرفا على المطبعة الأميرية في عهد الخديوي إسماعيل، وعمل كترجمان لقنصل فرنسا بإيران. وترجمة ماردروس بباريس سنة 1926. وترجمة مونتيه سنة 1929، وقد عمل واضعها أستاذا للغات السامية بجامعة جنيف، علما بأنه درس مؤلفات البيضاوي والطبري والزمخشري والرازي في علم التفسير. وترجمة بلاشير، التي كان صدورها في باريس سنة 1947، وصاحبها مستشرق مرموق يتبوأ كرسي أستاذية الفلسفة العربية بجامعة السوربون، ومدير معهد الدراسات الإسلامية بباريس.

وقدم بلاشير في مجال الدراسات الإسلامية، آثارا قيمة كان أولها كتابه: مدخل إلى القرآن، الذي نشره سنة 1947، ثم أعاد نشره ثانية سنة 1959، وقد تناول فيه تاريخا موجزا للقرآن الكريم، توجه به إلى جمهور القراء غير المتخصصين، ليعرفهم إياه ويقربهم إليه. وقد أصدر بعد هذه الدراسة ترجمة دقيقة للقرآن في مجلدين ضخمين: ظهر الأول منهما سنة 1949، والثاني سنة 1950. وقد زود ترجمته هذه بتعليقات وشروح فيلولوجية كثيرة، وذيلها بفهرس كبير للأعلام والمفاهيم التي تحتاج إلى تفسير وتوضيح.

وتعد هذه الترجمة بإقرار المستعربين أنفسهم، أقرب إلى روح النص الأصلي وأسلوبه المشرق. وهذه الترجمة على أية حال أكثر الترجمات إفادة

للباحثين من علماء الإسلاميات، في ميدان الاستعراب الفرنسي على وجه الخصوص. وأعاد بلاشير طباعة ترجمته هذه سنة 1957، على ورق ناعم ورقيق، بعد أن أعاد ترتيب السور فيها حسب الترتيب القرآني المعهود، وتوجه بهذه الطبعة إلى جمهور القراء الفرنسيين أكثر من توجهه إلى العلماء والمختصين والباحثين. ثم نشرت هذه الطبعة ثانية في سنة 1972. كما قدم بلاشير لجمهور القراء الفرنسيين أيضا دراسة قصيرة ومركزة سنة 1966 بعنوان: القرآن، وقد نشرت الطبعة الثالثة منها سنة 1973.[11]

وفي اللغة الفرنسية صدرت ترجمة للقرآن بقلم الأنسة "د. ماسون" التي عاشت في المغرب، عن دار نشر غليمار، باريس 1976. وهذه الترجمة شائعة بين القراء المثقفين الفرنسيين. وقد قدمتها صحيفة "لومند" الفرنسية بوصفها الترجمة الفرنسية الوحيدة للقرآن، التي أجازتها جامعة الأزهر، ويوصى بها الكتاب المسيحيون والمنظمات المسيحية.

ومن جملة من نقلوا معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية من العرب والمسلمين، نذكر منهم: فاطمة زائدة سنة 1931. والحاج نور الدين بن محمود سنة 1970. والشيخ أبا بكر حمزة من الجزائر بباريس سنة 1972. والصادق مازيغ من تونس سنة 1979. وحاول الأستاذ صلاح الدين كشريد ترجمة لمعاني القرآن بشكل دقيق.

وشهد النصف الأول من التسعينات صدور ترجمتين للقرآن الكريم، قام بهما الفرنسي جاك بيرك، ونال المترجم على إثر صدور الطبعة الأولى هجوما، وقد مثل في هذه الحملة المؤسسة الدينية في مصر مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر. واتهم بيرك في ترجمته أنه، يعتمد كثيرا على البحوث

اللغوية الجديدة، التي يطلق عليها (البلاغة الجديدة)، والسيميوتيك والسيمانتيك، ويردد في مرات كثيرة، أنه حاول أن يلتمس علم المنطق والرموز والعلامات والصوتيات، ثم إنه استعان بنتائج البحوث اللغوية الجديدة.[12]

أما الترجمات الإنجليزية، فنجد ترجمة روس سنة 1648 بلندن. وترجمة سيل سنة 1734 بلندن ونقلها صاحبها مباشرة عن المصحف الشريف، مستعينا بترجمة الأب ماراتشي اللاتينية. وترجمة رودوال سنة 1861 بلندن. وترجمة بالمر سنة 1880 بأوكسفورد. وترجمة بل سنة 1939 في مدينة إيدمبرا باسكوتلاندا. ثم تأتي ترجمة أوبري التي راجعها الإمام الأكبر الشيخ مصطفى المراغي، والذي يعترف المترجم في مقدمتها بجلال القرآن الكريم، وأن أي ترجمة مهما بلغت من الدقة لا ترقى لفخامة الأصل العربي.[13]

ومن التراجم الإنجليزية، التي كانت وفيرة ويرجع الفضل في إنجازها إلى إخواننا في الدين من أبناء شبه القارة الهندية، الذين نذكر منهم على سبيل المثال: ميرزا أبا الفضل الله آباد سنة 1912. ومحمد عبد الحكيم خان باتيلا سنة 1905. ومولفي محمد علي الأحمدي بلندن سنة 1917. وغلام سروار بأوكسفورد سنة 1930. وعبد الله يوسف علي بنيويورك سنة 1931.

وبالإضافة إلى هؤلاء اضطلع بالعمل في ترجمة القرآن، إخوان من أبناء أوروبا شرح الله قلوبهم للإسلام، من بينهم: محمد مرمديوك بيكتول بيروت سنة 1970، وهو أديب على مستوى رفيع من الثقافة، ويعد أول إنجليزي مسلم، يقوم بمثل هذا المجهود، غير أن نقله يكاد يكون حرفيا. ومحمد أسد بلاهاي سنة 1964، وهو عالم نمساوي. وبالنظر إلى شيوع الفرنسية والإنجليزية في شتى بقاع الدنيا، قد أضحى بوسع أعداد كبيرة من غير أهل هاتين اللغتين

أنفسهم الاطلاع على معاني القرآن بهما، خصوصا سكان المستعمرات الفرنسية والبريطانية السابقة، وذلك بالإضافة إلى من لا يلمون بالعربية من المسلمين، وأصبحوا يكتبون ويقرأون بلغاتهم الوطنية كل ما له صلة بالدين.

أما الترجمات التي خضع إليها القرآن الكريم في الإمبراطورية الروسية، وهي ثلاث، كانت أولاها عام 1716، وقد أنجزها بوسنيكوف، انطلاقا من الترجمة الفرنسية لدوربيه، التي يرجع عهدها إلى عام 1647. وكانت الثانية عام 1790 وهي لفريوفكين، الذي نقلها عن نفس الترجمة الفرنسية المذكورة. أما الثالثة فكانت عام 1792، وهي لكولماكوف الذي أنجزها انطلاقا من ترجمة يالي الإنجليزية. غير أن هذه الترجمات لم تعد تساير اهتمامات ومتطلعات المدرسة الاستشراقية الجديدة، فبدأت الساحة تعرف عددا من المنجزات، وذلك منذ الستينات من القرن التاسع عشر. وهكذا صدرت في موسكو عام 1864 ترجمة لمعاني القرآن الكريم، أنجزها نيكولاييف، انطلاقا من ترجمة كازيميرسكي الفرنسية، ونالت هذه الترجمة شهرة واسعة في روسيا، وأعيد طبعها عدة مرات. والجدير بالذكر أن ترجمة نيكولاييف، كانت آخر ترجمة تنجز عن طريف لغة وسيطة.

وبدأ المستعربون الروسيون يعدون لنقل المصحف الكريم مباشرة من الأصل العربي. وهكذا أنجزت في نفس الوقت تقريبا ترجمتان، كانت الأولى عام 1871 للجنرال بوكوسلافسكي، الذي نال تحصيلا جيدا في علم الاستعراب في الكلية الشرقية بجامعة بطرسبورغ، وقضى سنوات طويلة في العمل كمترجم للسفارة الروسية في الاستانة. وكانت ترجمة بوكوسلافسكي، التي أتمها خلال

فترة مكوثه في الشرق، تمتاز بالدقة العالية وبالمزايا الأدبية الفريدة، مما جعلها وقتذاك تحظى بتثمين نقاد مرهفي الحس والقلم.

لكن هذه الترجمة بقيت مخطوطة، ذلك أن صاحبها، لما رجع من الشرق، علم بصدور ترجمة أخرى نقلت عن النص العربي، كذلك في مدينة قازان، فتخلى بوكوسلافسكي عن طبع عمله. وكانت الترجمة الثانية من إنجاز القازاني سابلوكوف، الذي كرس جزءا مهما من حياته لهذا العمل، وجاءت الطبعة باللغتين: كل صفحة من الأصل العربي تقابلها صفحة بترجمة معانيها الروسية. وبقيت ترجمة سابلوكوف الترجمة الوحيدة، التي كان المسلمون في روسيا والاتحاد السوفياتي يتداولونها مدة أزيد من 80 سنة.

مع بداية القرن العشرين، وبعد الازدهار الكبير الذي عرفته الدراسات الاستعرابية، لم تعد ترجمة سابولوكوف، تتجاوب ومتطلبات العلوم العصرية. لذا بدأ التفكير في إنجاز عمل جديد، يكون في مستوى طموحات المدرسة الاستشراقية الروسية الجديدة. فقام العالم الأوكراني كريمسكي مع مطلع القرن العشرين بإصدار ترجمة لعدد من السور القرآنية، مصحوبة بالشروح ضمن سلسلته المشهورة "محاضرات حول القرآن".

غير أن هذه المحاولة توقفت ولم يتمم صاحبها مشروعه هذا، فأخذ العالم كراتشكوفسكي على عاتقه هذه المهمة، التي تطلبت منه وقتا طويلا ومجهودا جبارا. ويمكن القول بأن اهتمام كراتشكوفسكي بهذا الموضوع، ظهر مع بداية خطواته الأولى في عالم الاستشراق، ولم ينصرف عنه طوال حياته كلها. حيث استغرق منه أربعين سنة كاملة، غير أن العالم لم يتمكن من رؤية عمله مطبوعا، إذ توفي عام 1951، ولم تصدر ترجمته إلا سنة 1963.

وظهرت في السنوات القليلة الأخيرة بعد عام 1991 ترجمات جديدة أخرى أهمها ثلاث: الأولى للأستاذة يوروخوفا، والثانية للأستاذ عثمانوف المعروف في ساحة الدراسات الشرقية، بصفته اختصاصيا في اللغة الفارسية، والثالثة للأستاذة شوموفسكي.(14)

أما الترجمات الإيطالية، فأقدمها ترتقي إلى منتصف القرن السادس عشر الميلادي، إذ قام بإنجازها رجل اسمه أندريئا أريفابيني، عن طبعة بيبلياندر اللاتينية المشار إليها آنفا، وذلك في سنة 1547 بمدينة البندقية. وفي سنة 1914 أصدر الناشر أولريكو هيبلي بميلانو ترجمة مقرونة بالنص العربي، من وضع أكويليو أفراكاسي، الذي كان مدرسا للغة العربية بالمدارس الملكية. وفي سنة 1929 قام الناشر هيبلي نفسه بإصدار ترجمة أخرى أفضل نسبيا، من وضع المستشرق لويد جي بونيللي، المتخصص في اللغتين الفارسية والتركية، والذي كان أستاذا في جامعة مدينة نابولي.

وفي سنة 1955، أصدر الناشر سانسوني بمدينة فلورنسا ترجمة الإيطالي أليساندو باوزاني. وقام اتحاد أرباب المطابع ودور النشر بتونتو سنة 1967 بنشر ترجمة مارتينو ماريو. وقد توجت التراجم الإيطالية في سنة 1979 بإنجاز الأب فيديريكو بيئروني، أستاذ اللغة العربية والعلوم الإسلامية بجامعتي تورينو وميلانو. وتجدر الإشارة إلى أن الأديب العربي الليبي فؤاد مصطفى الكعبازي، عاكف منذ نحو قرن على وضع ترجمة إيطالية لمعاني القرآن، وهو الآن على وشك إنهائها، وأن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، تبنت هذا المشروع المبارك، وعينت لجنة خاصة من ذوي الكفاءات، في الفقه الإسلامي

وعلوم القرآن واللغتين العربية والإيطالية، لغرض مراجعة هذا العمل الخطير وإخراجه على الوجه المطلوب.[15]

أما الذين اهتموا بترجمة معاني القرآن إلى اللغة اليونانية، فلم تذكر عنهم المراجع إلا: يوحنا الدمشقي في العصر الأموي، الذي تعرض لآيات قرآنية بألفاظها ومعانيها ترجمة، لا بأس بها تشهد بعلو كعبه وعمق ذهنه في العربية واليونانية على السواء. والأسقف ثيودور أبو قرة في العصر العباسي، وثيوفان المؤرخ الرومي، ونيكيطاس البيزنطي، وجورج أمرتولوس. وتبع هؤلاء رهبان ومؤرخون يونانيون، ساروا على غرار أسلافهم ممن ذكرنا. ومن اليونانية واللاتينية تمت ترجمة القرآن الكريم إلى جميع لغات أوروبا. وقد بدأ الشعب اليوناني المعاصر التعرف على القرآن بترجمة بنداكي، ثم بترجمة السيدة زوغرافو في السبعينات من القرن العشرين. وأخيرا ترجمة ماريانا، التي ما تزال تحت الفحص بالأزهر الشريف، والعمل يجري في إنجازها كترجمة أكاديمية منذ سنة 1978 إلى الآن.

أما الترجمات اليابانية، فقد قام السيد ك. ساتاماكو بنشر أول ترجمة لمعاني القرآن عام 1920. وفي عام 1938 نشرت الترجمة الثانية من إعداد ج. تاكاهاش، وأحمد أريجاو، وم. ياماجوتش. وفي عام 1950 نشر س. أوكاوا ترجمة لمعاني القرآن. وفي عام 1957 نشر ت. إيزوتسو، الأستاذ بجامعة كيو الترجمة الرابعة للقرآن الكريم إلى اللغة اليابانية في ثلاثة مجلدات، وما زال توزيع هذه الترجمة كبيرا حتى اليوم، لأنها خرجت في طبعة شعبية. على الرغم من إيزوتسو ليس مسلما، فإنه باحث ممتاز في الدراسات الإسلامية. وفي عام 1972 صدرت في اليابان وخرجت إلى العالم ترجمة صحيحة لمعاني القرآن

الكريم، قام بها رجل مسلم صالح، هو الحاج عمر ميتا أكثر زعماء الإسلام تقوى واحتراما. لقد قضى اثنى عشر عاما لإنجاز هذه المهمة النبيلة، إعلاء لكلمات الله في اليابان ولاهور، ومكة والمدينة. وشغل منصب رئيس لرابطة المسلمين في اليابان.

أما الترجمة إلى المجرية، فهناك الكثير من القائمين على اللغة العربية وآدابها، والذين اهتموا بترجمة القرآن الكريم، ونذكر منهم على سبيل المثال المستشرق المجري المسلم عبد الكريم جرمانوس، حيث قام بترجمة بعض أجزاء من القرآن الكريم، وكتب حول معاني القرآن الكريم. كما أن المستشرق الشهير جولد تسيهر، أحد رواد الاستشراق في المجر، بل أحد أقطاب الاستشراق في العالم، قد كتب حول الفكر الإسلامي ومشاهير مفكريه وعن عقيدة الإسلام، وله أيضا كتابه المعروف "مذاهب التفسير الإسلامي"، الذي بحث في المرحلة الأولى من تفسير القرآن، والقراءات السبع، والتفسير بالمأثور وأهم أعلامه.[16]

هذا وقد أتيح للعالم الأوروبي خلال ثلاثة قرون من الزمن وبفضل هذه التراجم، أن يفكر بأنه قد ملك المفتاح لحديقة سرية كان يحلم بدخولها. وكمثال على ذلك عندما ذهب أليكسيس توكفيل إلى الجزائر سنة 1841، كان ينقل معه ترجمة سافاري، وأخذ يقرأ باهتمام تلك الترجمة المغلوطة اللذيذة. إن ترجمة للقرآن مهما كانت وافية ومزودة بالشروح والتفاسير، لا تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها. إن الرسالة التي تلقاها الرسول محمد (ص) تتطلب جهودا من كل الكتب المقدسة لمحاورتها. كما أن الجهود المتضافرة من

كل فقيه اللغة ومؤرخ الأديان وعالم الاجتماع، قد سوغت بعض التحليل الدقيق للعناصر المختلفة، التي تميز القرآن كتاب الإسلام المقدس.

إلا أننا نعترف ونقرر بصدق وإخلاص بأن التراجم عموما سواء السابقة منها أو اللاحقة، لم تصل إلى درجة الكمال، ولن تدركها مهما بلغت سعة أصحابها في العلم والمعرفة. إنما يتمثل عزاؤنا الوحيد في ثقتنا بنـــزاهة هؤلاء الإخوة النقلة، وبحسن قصدهم إذ نعتبر أعمالهم أفضل بكثير من أعمال غيرهم، وأقل أخطاء وأسلم عواقب.

كم هو جميل أن نحصل على ترجمة عربية إسلامية لمعاني القرآن في مختلف اللغات، لكن الظرف أصبح يحتم علينا إعادة النظر في الترجمات الأوروبية والصينية والهندية واليابانية. ولن يتأتى لنا ذلك إلا بتشكيل فرق لها كفاءة عالية في ميدان الترجمة خاصة، والدراسات الإسلامية عامة، تقوم ببرمجة أهم الترجمات في الحاسوب، وكذا الشأن لأهم التفاسير، حتى يتسنى لها عقد مقارنات، والقيام بانتقادات تسعف في تقويم ما هو كائن، من أجل تقديم ترجمات لها حظ من الدقة والموضوعية، تخولان لها تجاوز ما سلف من ترجمات، وتضمنان لها الاستجابة لروح العصر. أما وقد تطورت الدراسات اللسانية والسيميوطيقية وغيرها، وتعمقت مباحث تاريخ الإسلام وحضارته والدراسات الإسلامية. ولن تتأتى لنا الموضوعية والجدية والجدة في ترجمات القرآن، سوى بالإفادة مما يمكن أن يقدمه الحاسوب من تحليلات للمسار الترجمي لكتاب الله عبر الحقب إلى يومنا هذا.

هوامش

1 - محمد عبد الغني حسن: فن الترجمة، الدار المصرية للتأليف والترجمة – 1966، ص: 134

2 - المرجع السابق، ص: 139

3 - وضاح شرارة: تعبير الصور، المركز الثقافي العربي، بيروت – 1990، ص: 282

4 - أنظر الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس المتحدة – 1966، ص: 8، 10

5 - محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن، منشورات دار الآفاق، بيروت – 1980، ص: 90، 92

6 - عبد اللطيف الطيباوي: دراسات عربية وإسلامية، دار الفكر، دمشق – 1982، ص: 80

7 - عبد النبي ذاكر: قضايا ترجمة القرآن، منشورات سلسلة شراع، طنجة، المغرب –1998، ص: 53، 54

8 - أبو بكر الترشخي: تاريخ بخارى، ترجمة أمين عبد المجيد بدوي، ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، القاهرة – 1968، ص: 74

9 - عبد اللطيف الطيباوي: دراسات عربية وإسلامية، مرجع سابق، ص: 75

10 - ريجيس بلاشير: القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، نقله إلى العربية رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، بيروت – 1974، ص: 16، 17

11 - محمود المقداد: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت – 1992، ص: 266

12 – Jacques Berque: le Coran, Essai de traduction de l'Arabe. Sindbad, Paris, 1990. PP. 12-14.

13 - أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة 1980، ص: 173

14 - عبد الرحمن العطاوي: الاستشراق الروسي، مدخل إلى تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في روسيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان – 2002، ص: 278، 281

15 - علي الصادق حسنين: لمحة تاريخية عن تراجم معاني القرآن الكريم، ضمن الندوة العالمية حول ترجمات معاني القرآن الكريم، من نشر وتنظيم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، المنعقدة باستانبول، في مارس - 1986، ص: 179

16 - جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، القاهرة – 1955، ص: 15، 16